الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم تطف الشياطين حول قلبه واليه الاشارة
بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والسماع
سبب لصفا القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفا وعلى هذا يدل ما روى ان ذا النون
المصرى دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه فى ان يقول شيا
فاذن له فانشا يقول ۞ صغير هواك عذبنى ۞ فكيف به اذا احتنكا ۞ وانت جمعت من قلبى هوى
قد كان مشتركا ۞ اما ترثى لمكتئب ۞ اذا ضحك الخلى بكى ۞ فقام ذا النون وسقط على وجهه ثم قام
رجل اخر فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون
على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ولو
كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم
انه ينقسم كل واحد منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا
ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك
فانك تجد فى احوالك القريبة لهما شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان
متشابهتان فى الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا فى الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق
لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه
التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ولا يشك فى ان لوقوعه فى قلبه سببا
وله حقيقة عند الله تعالى ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى
نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات
واما الحال فكم من انسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم
سببه وقد يتفكر الانسان فى شىء فيؤثر فى نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر
فى نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره
فى سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون
تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة
مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون
يختص به بعض الناس دون بعض وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها
اعنى التفرقة بين الموزون وبين المنزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن
لا ذوق له ففى النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن
والسرور انما يحصل فى السماع عن غنا مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التى
ليست بمفهومة تؤثر فى النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب
تلك الاثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو
عجيب والذى اضطرب نفسه بسماع الاوتار او الشاهين وما اشبهه ليس يدرى

الى مالا

الى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كانها تتقاضى امرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك
للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو ان كل شوق
فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثانى معرفة المشتاق
اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق
اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك
الصفة واشتعل نارها اورث ذلك حيرة ودهشة لا محالة ولو نشا آدمى وحده حيث
لم ير صورة النساء ولا علم صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس
من نفسه بنار الشهوة ولا يدرى انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف
صورة النساء فكذلك فى نفسه نفس الآدمى مناسبة مع العالم الاعلا واللذات التى
وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات
والاسماء كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة
رجل ولا صورة نفسه فى المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط
والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذى اليه حنينه و
اشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب
ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التى لا يدرك
تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن
اظهاره والى ما لا يمكن اظهاره واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف
ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذى يقصد به الريا واظهار
الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء
الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا فى جلب الاحوال
الشريفة ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء فى قراءة القران
ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها
وكيف لا يكون التكلف سببا فى ان يصير المتكلف فى الاخرة طبعا وكل من يتعلم القران
ولا يحفظه تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا
للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة
وتثوب نفسه اليه بعد انتهائها الى اخرها ويعلم انه قراها فى حال غفلته وكذلك
الكاتب يكتب فى الابتدا بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فتصير الكتابة له
طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق النفس بفكر اخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح
من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)